

الأدلة القرآنية على توقيفية اللغة الإنسانية

م. عايد جدوع حنون

جامعة المنى / كلية التربية

الخلاصة:

لقد شغلت بداية نشأة اللغة الأولى عند الإنسان اهتمام الدارسين منذ أقدم الأزمنة، لكنهم لم يجمعوا على رأي قاطع فيها، بل ذهبوا مذاهبَ مختلفةً بُنيت أغلبها على التخمين والظن. ولو احتكم أصحاب تلك النظريات إلى القرآن الكريم، وتأملوا آياته لاتفتت أفكارهم، بوصفه المنبع الأول لكل العلوم، قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(١)، فمن يتأمل في قصة خلق آدم (عليه السلام) يتبين له أن اللغة الإنسانية توقيف وإلهام من عند الله عز وجل لا تواضع واصطلاح كما يذهب إلى ذلك بعض اللغويين والمفسرين.

واقترضت طبيعة البحث أن يُقسم على فصلين، سبقتهما توطئة ذكرت فيها السبب الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث. ناقشت في الفصل الأول منهما النظريات التي قيلت في نشأة اللغة الإنسانية، وقسمته على قسمين: القسم الأول: الإنسان هو الذي وضع لغته بنفسه، وهو مذهب أهل الاصطلاح والمواضعة، ومحاكاة أصوات الطبيعة، والنظريات الاجتماعية الأخرى. وعزوت أسباب إخفاق تلك النظريات إلى بنائها على الحدس والتخمين والظن دون الاعتماد على أدلة مقنعة.

القسم الثاني: تلقى الإنسان اللغة من الله سبحانه وتعالى. وصاحب هذه النظرية ابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ)، واستند ابن فارس في نظريته إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢)، لكن الضعف تخلل هذه النظرية في جوانب مختلفة، إذ قصر التوقيف على لغة العرب دون غيرها من اللغات من غير أن يأتي دليل يسند ما يذهب إليه، وجعل كل الألفاظ الدالة على الأسماء والصفات... الخ توقيفاً من عند الله عز وجل نافيةً للتواضع والاصطلاح وغير ذلك من النظريات الأخرى نافيةً مطلقاً.

الفصل الثاني: ذكرت فيه الأدلة القرآنية على توقيفية اللغة الإنسانية، وهذه الأدلة متمثلة في قصة خلق آدم (عليه السلام)^(٣)، وقسمته على ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: ذكرت فيه آراء اللغويين والمفسرين في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٤)، وأشارت إلى اختلافاتهم في:

١- كيفية التوقيف.

٢- الأسماء التي علمها الله عز وجل آدم (عليه السلام).

٣- عدد اللغات التي وقع عليها التوقيف.

وخلصت من ذلك إلى أن الله عز وجل علم آدم (عليه السلام) معاني أسماء جميع المسميات، وبالألفاظ لا نعرفها نحن، واللغة التي تعلمها آدم (عليه السلام) هي اللغة الأم التي تفرعت منها كل اللغات الإنسانية البائدة والباقية.

القسم الثاني: ذكرت فيه أنَّ الملائكة كانوا يتخاطبون بلغة يستعملونها فيما بينهم، وبها خاطبهم الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخلق آدم (عليه السلام)، وأردت من ذلك أن أشير إلى أنَّ تلك اللغة كانت أضيّق من اللغة التي علّمها الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) مستنداً إلى آية من الذكر الحكيم، محاولاً من ذلك بيان قيمة اللغة الإنسانية الأولى.

القسم الثالث: أردت أن أقول فيه: إنَّ الإنسان في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (۳) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٥)، هو آدم (عليه السلام)، والمراد بالبيان: المنطق والكلام، أي: اللغة متمثلة في معانيها وألفاظها، وليس بألفاظها فحسب. والله أعلم.

التوطئة:
 ((لم ينل بحثٌ لغويٌّ قدرًا من النظر والتأمل والتفكير، مثل الذي ناله نشأة اللغة، ومع كلِّ ذلك لم يُجمع الباحثون والعلماء قديماً وحديثاً على رأيٍ في هذا الموضوع، على الرغم من كلِّ ما بذلوه من جهودٍ لأجل ذلك. وكان اللغويون القدامى في العربية - على دأبهم في البحث وجلدهم عليه - لم ينتهوا إلى قولٍ قاطعٍ فيه. وكانوا يشعرون بدقة البحث فيه حتى إنَّ أبا الفتح بن جني قال في مستهل كلامه عليه: ((هذا موضوعٌ مُحوجٌ إلى فضل تأملٍ))^(٦)، لكنني أعتقد أنَّ ثمة أدلة قرآنية تسندها أقوالٌ من الآثار الإسلامية تشير إلى أنَّ اللغة التي تكلم بها آدم (عليه السلام) كانت توقيفاً من عند الله عزَّ وجلَّ.

الفصل الأول
النظريات التي قيلت في نشأة اللغة
 لقد ظهرت عدة نظريات عربية وغربية تتحدث عن بدايات نشأة اللغة عند الإنسان، وانطلقت كلُّ نظرية من تلك النظريات من مرجعية خاصة بها، ومن يتأمل في تلك النظريات يجدها تصب في رافدين:

الأول: الإنسان هو الذي وضع لغته بنفسه، وهو مذهب أهل الاصطلاح والمواضعة والمحاكاة، والنظريات الاجتماعية الأخر.

الثاني: الإنسان تلقى اللغة من الله سبحانه وتعالى، وهو مذهب أهل التوقيف.

القسم الأول: ترى بعض النظريات أنَّ الإنسان هو الذي وضع لغته بنفسه، إمّا بالمواضعة والاصطلاح، أو نتيجة

لمحاكاة أصوات الطبيعة، أو نتيجة للأعمال الجماعية التي يؤديها، أو نتيجة لملاحظة أخيه الإنسان، أو غير ذلك من النظريات. ولم تقم تلك النظريات على أدلة عقلية أو نقلية من كلام الله عزَّ وجلَّ، وإنما قامت على الحدس والتخمين والظنَّ ((حتى إنَّ الجمعية اللغوية في باريس قررت سنة ١٨٧٨م منع تقديم أبحاث عن هذا الموضوع))^(٧)، وحاول بعض أصحاب تلك النظريات تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٨)، فقد قال أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ): ((... إنما هي تواضعٌ واصطلاحٌ لا وحي وتوقيف، إلا أنَّ أبا علي - رحمه الله - قال لي - يوماً - هي من عند الله - واحتج بقوله - سبحانه - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، وهذا لا يتناول موضع الخلاف - وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله - سبحانه - لا محالة، فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه))^(٩)، ثم قال: ((ثم لنعد، فلننقل في الاعتلال لمن قال بأنَّ اللغة لا تكون وحيًا، وذلك أنهم ذهبوا إلى أنَّ أصل اللغة لا بد فيه من التواضع، قالوا وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكلِّ واحدٍ منهما سمةً ولفظاً، إذا ذُكرَ عُرفَ به ما سمَّاه ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله. فكأنَّهم جاءوا إلى واحدٍ من بني آدم فأومئوا [كذا] إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان فأبى وقتٍ سُمعَ هذا اللفظ عُلِمَ أنَّ المراد به هذا الضرب من المخلوق،

واضع هذه النظرية، ومن يتأمل في نظرية ابن فارس القائلة بالتوقيف يجد أنها لا تخلو من بعض نواحي الضعف:

١ - حصر التوقيف على لغة العرب دون غيرها من اللغات، إذ قال: ((أقول: إن لغة العرب - توقيف...))^(١٤) ودليله على ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١٥). يُستشف من قوله هذا أن الأسماء التي علمها آدم (عليه السلام) كانت باللغة العربية، وهو يؤكد ذلك إذ يقول: ((ولعلَّ ظاناً يظنُّ أنَّ اللغة التي دللنا على أنَّها توقيف إنما جاءت جملةً واحدةً وفي زمنٍ واحدٍ. وليس الأمر كذا، بل وقَّفَ الله جلَّ وعزَّ آدمَ (عليه السلام) على ما شاء أن يعلمه إياه ممَّا احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثمَّ علم بعد آدم (عليه السلام) من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمدَ (صلى الله عليه وسلَّم)، فاتاه الله جلَّ وعزَّ من ذلك ما لم يؤته أحدًا قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثمَّ قرَّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت. فإنَّ تعملَ اليوم لذلك مُتعمِّلٌ وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده))^(١٦).

٢ - جعل كل اللغة العربية توقيفاً بما فيها من الأسماء، والصفات، والأفعال، والحروف... إلخ، إذ قال: ((فإن قال: أفتقولون في قولنا: سيف، وحسام، وعَضْب، إلى غير ذلك من أوصافه إنه توقيف حتى لا يكون شيئاً منه مصطلحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول))^(١٧).

ولي على هذه النظرية عددٌ من الملاحظ، هي:

١ - تشير المصادر العربية وغير العربية إلى أن اللغة العربية مرَّت بمراحلٍ مختلفةٍ حتى ولدت عنها اللغة العربية الفصحى، ومن الأدلة على ذلك وصول بعض النقوش مثل: نقش النمارة، ونقش زبد، ونقش حران، ونقش أم الجمال، فضلاً عن اللغات البائدة التي أشار إليها بعض الباحثين^(١٨).

وأن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك، فقالوا يد عين رأس قدم أو نحو ذلك. ثمَّ لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها، فتقول: الذي اسمه إنسان، فليجعل مكانه (مرد) والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سر) وعلى هذا بقية الكلام))^(١٠). إذا كان المراد من الآية الكريمة منح آدم (عليه السلام) القدرة على المواضعة، والمواضعة تحتاج إلى حكيمين أو أكثر، فمع من اجتمع آدم (عليه السلام) ليمؤوا إلى الإنسان ويده...؟ ومن هو الإنسان الذي أوئموا إليه؟ نستشف من قول ابن جنى أن المواضعة حصلت في الأرض وليس في الجنة، يدل على ذلك قوله: ((فكأنهم جاءوا إلى واحدٍ من بني آدم فأومئوا [كذا] إليه وقالوا: إنسان إنسان إنسان)) وإذا افترضنا صحة ما ذهب إليه ابن جنى ومن تابعه. كيف يأمر الله عزَّ وجلَّ آدم (عليه السلام) بالسكن في الجنة هو وزوجه، ويأكل منها رغداً، وكيف ينهاهما عن الاقتراب من الشجرة من دون خطاب، أو إلهام، أو تلقين؟! وكيف يفهم آدم (عليه السلام) ذلك من ربِّه إذا لم يعرف اللغة؟! إذ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١١)، وكيف يُفسر أصحاب تلك النظريات لفظة ﴿كَلِمَاتٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١٢)، ناهيك عمَّا تعرضت إليه تلك النظريات من نقد من بعض الباحثين، فقد أوجز الدكتور عبد الصبور شاهين نقد العلماء الموجه إلى نظرية محاكاة أصوات الطبيعة - التي يُسميها المحدثون نظرية (البو - وو bow_waw) - قائلاً: ((وقد سخر بعض النقاد من هذه النظرية حيث وصفها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغريزية))^(١٣). القسم الثاني: يرى عددٌ من العلماء أن اللغة إلهامٌ وتوقيفٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، وعدَّ الباحثون أحمد بن فارس

الفصل الثاني

الأدلة القرآنية على توقيفية اللغة الإنسانية:

القسم الأول: أعتقد أكثر العلماء أنّ اللغة الإنسانية توقيف من عند الله مستندين إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٢٤)، لكنهم اختلفوا في كيفية ذلك التوقيف. أ هو تحفيظ أم تلقين أم إلهام؟ أ هو مباشرة أم بوساطة وحي؟ قال ابن عباس: ((... حفظ آدم من ربه، ويقال لُقِنَ فتلقن، وأُهِمَ فتلهم))^(٢٥) وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ): ((وتعليمه هنا إلهام علمه ضرورة، ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام))^(٢٦). واختلفوا أيضاً في الأسماء التي علمها الله آدم (عليه السلام) أهي أسماء الملائكة، أم أسماء الذرية، أم اسم كل شيء؟^(٢٧)، قال ابن عباس: ((علمه أسماء ذريته، ويقال أسماء الدواب، وغير ذلك حتى القصعة والقصيعة والسكرجة))^(٢٨) ورؤي عنه أنه قال: ((علمه الأسماء كلها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها))^(٢٩)، وقال الزجاج (ت ٣١١هـ): ((قال أهل اللغة علم آدم أسماء الأجناس))^(٣٠)، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) علمه: ((... أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء؛ لأنّ الاسم لا يد له من مسمى))^(٣١) وقال الرّازي (ت ٦٠٦هـ): ((علمه صفات الأشياء ونوعاتها وخواصها))^(٣٢)، وقال ابن منظور: ((علمه أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات))^(٣٣)، كما اختلفوا في عدد اللغات التي وقع عليها التوقيف. فقال بعضهم: إنّ التوقيف وقع على مجموعة من اللغات^(٣٤)، وقيل: وقع على لغة واحدة وما سواها من اللغات وقع التوقيف عليها بعد الطوفان من الله تعالى في أولاد نوح حين تفرقوا في أقطار الأرض^(٣٥). والذي أراه أنّ الله عزّ وجلّ علم آدم (عليه السلام) معاني أسماء جميع المسميات، وبألفاظ لا نعرفها، واللغة التي تكلم بها آدم (عليه السلام) هي اللغة الأمّ التي تفرعت منها كل اللغات الإنسانية البائدة والباقية، ومهما

٢- مصدر اللغة العربية الفصحى جاء من لهجات بعض القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية^(١٩)، وهذا يخالف ما ذهب إليه ابن فارس؛ لأنّ من غير المعقول أن تكون كل الألفاظ الموجودة في جميع القبائل العربية إلهام من الله تعالى، ونحن نعلم أنّ بعض الألفاظ تختلف دلالاتها من لهجة إلى أخرى، ومن أمثلة ذلك لفظة (وثب) تعني في لغة حمير (قعد)، وفي لغة نزار (قفز)، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((والوثوب القعود بلغة حمير. يُقال: ثب أي: أقعد. ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير، فقال له الملك: ثب أي أقعد، فوثب فتنكسر...))^(٢٠)، وهذا يدلّ على اختلاف دلالة اللفظة الواحدة في حقبة زمنية واحدة. فإذا كانت هذه اللفظة توقيفاً من عند الله، فما دلالتها الأصلية؟

٣- إذا كانت كل اللغة العربية توقيفاً من عند الله، فماذا يقول ابن فارس في الأحرف السبعة، والقراءات القرآنية، والاختلافات اللهجية بين القبائل؟

٤- تشير المصادر إلى أنّ القرآن الكريم نزل بلهجات القبائل التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية ((وهي: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين... فضلاً عن أنهم عرفوا لقريش فصاحتها وحسن لغتها ورقة لسانها))^(٢١)، ومما يؤكد ذلك ما روي عن الإمام عليّ (عليه السلام)، وابن عباس (رضي الله عنه) إنهما قالوا: ((نزل القرآن بلغة كل حيّ من أحياء العرب))^(٢٢)، وهذا يخالف ما ذهب إليه ابن فارس إذ قال: ((... حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتاه الله جلّ وعزّ من ذلك ما لم يؤتته أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثمّ قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت...))^(٢٣).

﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤١)، ولم يقل أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ؛ لأنَّ النبأ يكون للإخبار بما لا يعلمه المخبر، قال أبو هلال العسكري (ت نحو ٤٠٠ هـ): ((إنَّ النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، و يجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه، ولهذا يُقال: تخبرني عن نفسي، ولا يُقال تنبئني عن نفسي، وكذلك تقول: تخبرني عمَّا عندي، ولا تقول تنبئني عمَّا عندي، وفي القرآن: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤٢). وإنما استهزؤوا به لأنَّهم لم يعلموا حقيقته، ولو علموا ذلك لتوقَّوه يعني العذاب، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ﴾^(٤٣)، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعرف شيئاً منها))^(٤٤) ؛ لذلك ﴿قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤٥).

القسم الثالث: يرى بعض المفسرين أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٤٦). الإنسان: آدم (عليه السلام)، والبيان: المنطق والكلام، أو اسم كلِّ شيءٍ، أو معاني اللغات كلها^(٤٧). وتعليم الله آدم (عليه السلام): يعني تعليمه معنى اسم كلِّ شيءٍ، وهو بذلك علَّمه المنطق: أي اللغة، وفي ذلك تأكيد لقصة خلق آدم (عليه السلام) ؛ لأنَّ أول شيءٍ ألهمه الرحمن عزَّ وجلَّ لآدم (عليه السلام) - بعد خلقه - هو اللغة، والله أعلم.

النتائج:

لقد تمخض البحث عمَّا يأتي:

١. اللغة الإنسانية الأولى توقيف وإلهام من الرحمن عزَّ وجلَّ، وليس تواضعاً واصطلاحاً... إلخ.
٢. اللغة التي علَّمها الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) هي اللغة الأم التي تفرعت منها كلُّ اللغات الإنسانية.
٣. علَّم الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) معاني المسميات وبالألفاظ لا عرفها، وليس بين أيدينا ما نملكه من الأدلة التي تدلُّ على نوعها، وخصائصها، وعدد

اختلفت ألفاظ تلك اللغات فإنَّ معانيها تبقى واحدة، فمهما اختلفت الألفاظ الدالة على (الشجرة) فإنَّها تبقى دالة على ذلك النوع من النبات، ومهما اختلفت الألفاظ الدالة على (الإنسان) فإنَّها تبقى دالة على ذلك الكائن العاقل. فالعربية - على سبيل المثال - تسميه (إنسان)، والفارسية الحديثة تسميه (مرد)، والإنكليزية تسميه (ryman).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ يدلُّ على أنَّ اللغة بدأت توقيفاً، و(لا بدَّ من التوقيف في أصل اللغة الواحدة، لاستحالة وقوع الاصطلاح على أول اللغات من غير معرفة من المصطلحين بعين ما اصطلحوا عليه))^(٣٦)، أمَّا قوله تعالى: ﴿الْأَسْمَاءِ﴾ فيعني معاني الأسماء، ومن الأدلة على ذلك قول الزجاج: ((إنَّ الفائدة في الإتيان بالأسماء أبلغ منها هي الفائدة بأسماء معاني كلِّ صنف من هذه، لأنَّ الحجة في هذا إنَّ الخيل إذا عُرِضت فقبل ما اسم هذه، قيل خيل، فأبي اسم وضع على هذا أنبأ عنها، وإنما الفائدة أن تُنبئ باسم كلِّ معنى في كلِّ جنس، فيقال هذه تصلح لكذا، فهذه الفائدة البينة التي يتفق فيها أن تسمي الدابة والبعير بأيِّ اسمٍ شئت، والمعنى الذي فيها وهو خاصها معنى واحد وإن اختلفت عليه الأسماء والله أعلم))^(٣٧)، وقول الطبرسي (ت ٤٨٤ هـ): ((علَّمه معاني الأسماء إذ الأسماء بلا معانٍ لا فائدة فيها))^(٣٨). و(أل) التعريف في ﴿الْأَسْمَاءِ﴾ تدلُّ على العموم. ﴿كُلَّهَا﴾ توكيد للأسماء، والمراد به معنى كلِّ اسم يقع لمسمى^(٣٩).

القسم الثاني: للملائكة لغة خاصة بهم يستعملونها للتخاطب فيما بينهم، كما يستعملونها في صلواتهم وتسبيحاتهم، وبها خاطبهم الله عزَّ وجلَّ إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤٠). وكانت تلك اللغة أضيق من اللغة التي علَّمها الله آدم (عليه السلام)، يدلُّ على ذلك قوله تعالى - الذي خاطب به الملائكة -:

- أحرفها، وطبيعتها، وطريقة تركيبها، ونوع بنائها، وكيفية كتابتها... الخ.
٤. إنَّ سبب إخفاق أصحاب النظريات الاجتماعية (المواضعة والاصطلاح، المحاكاة، الملاحظة، الفطرة... إلخ) التي قيلت في نشأة اللغة يعود إلى عدم الاحتكام إلى كلام الله عزَّ وجلَّ.
٥. أعتقد أنَّ كلَّ النظريات الاجتماعية التي قيلت في نشأة اللغة من الممكن عدُّها عواملاً مساعدة في توسيع اللغة، وأسباباً رئيسة في تنوع اللغات الإنسانية.
٦. الدافع الذي دفع ابن فارس إلى القول بتوقيفية اللغة العربية دون غيرها من اللغات لا ينطلق من باب التعصب للغة العربية، بل من باب قدسية تلك اللغة، وأنتها القدسية من القرآن الكريم، فهي اللغة الوحيدة التي يجب على كلِّ مسلم - مهما كانت لغته، ومهما كان انتماءه - أن يتعلَّمها؛ لأنَّ قراءة القرآن لا تتم إلاَّ بها، والصلاة وشعائر الحج لا تصح بدونها.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين.
- الإحالات والحواشي:**
- (١) سورة الكهف: ٤٩.
- (٢) سورة البقرة: ٣٣.
- (٣) سورة البقرة: ٣٠ - ٣٩.
- (٤) سورة البقرة: ٣٣.
- (٥) سورة الرحمن: ٣ - ٤.
- (٦) فقه اللغة العربية، الدكتور كاصد ياسر الزبيدي: ٣١؛ وينظر: قول ابن جني في: الخصائص: ٩٤/١.
- (٧) فقه اللغة في الكتب العربية، الدكتور عبدة الراجحي: ٧٧.
- (٨) سورة البقرة: ٣٣.
- (٩) ينظر: الخصائص: ٩٤/١.
- (١٠) م. ن: ٩٥/١ - ٩٧.
- (١١) سورة البقرة: ٣٥.
- (١٢) سورة البقرة: ٣٧.
- (١٣) في علم اللغة العام، الدكتور عبد الصبور شاهين: ٧٣.
- (١٤) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: ١٣.
- (١٥) م. ن: ١٣، و تنظر الآية في سورة البقرة: ٣٣.
- (١٦) م. ن: ١٤.
- (١٧) م. ن: ١٣.
- (١٨) ينظر: فقه اللغة، الدكتور عبد الحسين المبارك: ٤٥-٤٦.
- (١٩) ينظر: فقه اللغة العربية: ١٠٤؛ وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، الدكتور رشيد العبيدي: ١٥٠.
- (٢٠) لسان العرب، ابن منظور: مادة (وئب) ٧٩٢/٦، وينظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ١٨٢.
- (٢١) أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: ١٥٤.
- (٢٢) المرشد الوجيز، المقدسي: ٩٦.
- (٢٣) الصاحبي: ١٦.
- (٢٤) سورة البقرة: ٣١.
- (٢٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، أبو طاهر الفيروز آبادي: ٩.
- (٢٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/١٩٧ - ١٩٨.
- (٢٧) الصاحبي: ١٣.
- (٢٨) تنوير المقباس: ٨.
- (٢٩) الصاحبي: ١٣.
- (٣٠) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/١١٠.
- (٣١) الكشاف: الزمخشري: ١/٢٧٢.
- (٣٢) التفسير الكبير، الرأزي: ١/٣٩٧.
- (٣٣) لسان العرب: مادة (سما) ٤٠٢/١٤.
- (٣٤) ينظر: الخصائص، ابن جني: ١/٩٤؛ والجامع لأحكام القرآن: ١/٢٠١؛ ولسان العرب: مادة (سما) ١/٤٠٢.
- (٣٥) ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: ٢٧/١.
- (٣٦) م. ن: ٢٧/١.
- (٣٧) معاني القرآن وإعرابه: ١/١١١.
- (٣٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/١٢١.

* صاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط^١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

* الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٤٠٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط^٣ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

* فقه اللغة، الدكتور عبد الحسين المبارك، مطبعة جامعة البصرة، البصرة (١٩٨٧م).

* فقه اللغة العربية، الدكتور كاص-د ياسر الزبيدي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (١٩٨٧م).

* فقه اللغة في الكتب العربية، الدكتور عبدة الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت (١٩٧٩م).

* في علم اللغة العام، الدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط^٣ (١٩٨٠م).

* في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء وهبة حسّان، القاهرة، ط^٣ (٢٠٠٣م).

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د ٠ ت).

* لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، (١٩٥٦م).

* مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار الفكر، بيروت ط^٤ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

(٣٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ٥٥/١.

(٤٠) سورة البقرة: ٣٠.

(٤١) سورة البقرة: ٣١.

(٤٢) سورة الشعراء: ٦.

(٤٣) سورة هود: ١٠٠.

(٤٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٥٣.

(٤٥) سورة البقرة: ٣٢.

(٤٦) سورة الرحمن: ٣-٤.

(٤٧) ينظر: الكشاف: ٤/٤٣؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٠٢/٩؛ والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١٨٧/٨.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

* أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، الدكتور رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد (١٩٨٨م).

* تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط^١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

* التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط^١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م).

* تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط^١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

* الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط^١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م).

* الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط^٢ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

part: The human received the language from Allah Glory be to Him and associated this theory to the linguist Ibn Faris (395 A.H.), he leaned in his theory as God says "He taught Adam the names all".

But the weakness interposed this theory in different sides since descending from Allah is limited on the Arabs language exclusively. Without he brings an evidence that supports what it goes to.

He made all of the words referring to the names and the qualities descending from Allah the Exalted the Majestic denies modest and term and other theories A denial absolutely.

Chapter two: I mentioned the Qur'anic evidences on descending from Allah of the human language and these evidences appearing on Adam's story (peace be upon him), it is divided to three parts:

First part: I mentioned the opinion of the linguists and the interpreters as God says "He taught Adam the names all", and mentioned to the differences in:

- 1-How descending from Allah.
- 2-Names that Allah the Exalted the Majestic taught to Adam (peace be upon him).
- 3-Number of languages that descending from Allah.

I concluded that Allah the Exalted the Majestic taught Adam (peace be upon him) the meanings of all names by words that we don't know, and the language who Adam (peace be upon him) learned is the mother tongue from which all bygone human languages and the remaining ones ramified.

Second part: I mentioned that the angels were talking by a language they use it between them and by it that Allah the Exalted the Majestic addressed when he want to create Adam (peace be upon him), I want to mention that

This language was narrower than the language that Allah the Exalted the Majestic taught to Adam (peace be upon him) leaning on a verse from the Holy Quran, trying to statement the value of the first human language. Third part: I want to say that hta human in God says (create the human and taught him the logic) is Adam (peace be upon him), The desired of logic is the language represented in its meanings and its words and is not by its words only.

* المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، تحقيق طيار آلي قولاچي، دار صادر، بيروت (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

* المزهر في علوم اللغة العربية، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد جار المولى وآخرون، مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، ط^٣ (د.ت).

* معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت ط^١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

* الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مطبعة ثامن الحجج (عليه السلام)، قم، ط^١ (١٤٢٤هـ).

Abstract

the beginning of the emergence of the first language at the human have taken the learner's care since past times They didn't agree unanimously on a sharp opinion in it But they went on different ways on guess.

If the owners of those theories resorted to the Quran and contemplated its signs that their ideas agreed by the prescription of the first spring to all the sciences.

God says " This book does not leave a minor and no great except it counted it".

Who contemplates Adam's creation story (peace be upon him) for him becomes clear that the human language is descending from Allah the Exalted the Majestic and it is not from the human creation as some of the linguists and the interpreters say.

The study nature of this research required dividing it into two chapters that an introduction preceded it mentioned in it the reason that pushed me to write this research.

I discussed the first chapter the theories that were said in the emergence of the human language and its division into two parts: first part: The human is the one that made his language himself and he is the people doctrine of term and the agreement, the simulation of the nature sounds and the other social theories. I attributed the reasons of those theories failure to their building based on the intuition without the dependence on convincing evidences. Second